أُسس ومقومات البناء الحضاري والمعرفي وأثرها في تكوين الشخصية العلمية في الشريعة الإسلامية

Foundations and components of Civilized and knowledge building And its impact on the formation of the scientific personality In Islamic law

أ. م. د. مثنى صفاء جاسم

Assistant Professor Dr. Muthanna Safaa Jassim

dr.muthana19752018@gmail.com

الملخص

١. **الحضارة** : عبارة عن مجموعةٍ من العقائد، والمبادئ المنظِّمة للمجتمع، وتُمثّل ناتج النشاط البشري في مختلف المجالات كالعلوم، والآداب، والفنون، وما ينجم عن هذا النشاط من ميول قادرة على صياغة أساليب الحياة المختلفة، والأنماط السلوكيّة، والمناهج المختلفة في التفكير، وقد تطوّر مصطلح الحضارة مع تعاقب العصور، وتعدّدت تعريفاته، والرؤى الخاصة به.

المعرفة : إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم، ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف .

٢. من اهم أسس ومقومات البناء الحضاري :

١. حضارة التوحيد والإيمان بالله تعالى، والارتباط به جملة وتفصيلا، وهذا جوهر الرسالة الإسلامية، فكان الله تعالى رحيما بالناس أن دلّهم في كل مواطن آياته المسطورة، والبحث الطبيعي المفطور داخل آياته المنظورة .

٢. الإنسان، فكلما كان لهذا الإنسان حقه في الحياة كلما كانت أولى خطوات البناء سليمة، بدايةً بتحديد قيمتِهِ مع نفسه، ونهايةً ببيانِ مكانتِهِ مع غيره، سواء مع بني جنسِهِ، أو بيئتِهِ، وهذا ما أكرمه الله عز وجل،

٣ العمل، وهذا المقوم مرهون بمفهوم السعي، وما تفرضه سنن الله تعالى من قواعد وضوابط، وهذه السنن لا تحابي أحدا، سواء كان مسلما أو غير مسلم،

٤ العلم، إن الإسلام دين العلم، والحياة، ومنبع الحضارات، فقد راعى مطالب الفكر، والنفس، والجسد في حدود طريق الخير، والنفع العام لكل الإنسانية، وبالعلم تقوم الحضارات، ويشيد البناء، وتتطوُّر المعارف، مما ينعكس على رخاء حياة الإنسان، وأمر الله تعالى الإنسان بإعمال العقل، والتفكُّر في المخلوقات .

٥ حضارة الانفتاح الحضارة الإسلامية حضارة الانفتاح، وهذا الوصف قريب بل مماثل للاستعمالات الحديثة التي ترمز إلى مفهوم التعايش بين الحضارات، والثقافات بل، والديانات، فالحضارة الإسلامية عاشت منذ ولادتِها استمراريةَ تفاعلٍ مع الحضارات الأخرى، ففتحت حدودها الفكرية، والنفسية، والاقتصادية، والاجتماعية على مختلف أنواع البشر، بكافة معتقداتِهم، وعلى اختلاف مقاصد، وأهداف حضاراتهم .

Summary:

1. Civilization : It is a set of beliefs and principles that organize society. It represents the outcome of human activity in various fields such as sciences, literature, and arts, and the tendencies that result from this activity that are capable of formulating different ways of life, behavioral patterns, and different approaches to thinking. The term civilization has evolved with the succession of eras, and its definitions and visions have varied.

Knowledge: Understanding something as it is, and it is preceded by ignorance, unlike knowledge, and therefore the Almighty God is called the Knower rather than the Knower.

2. Among the most important foundations and components of civilizational construction:

1 - The civilization of monotheism and belief in God Almighty, and the connection to Him in general and in detail, and this is the essence of the Islamic message. God Almighty was merciful to people by guiding them in every aspect of His written verses, and the natural search imprinted

within His visible verses.

2 - The human being. The more this human being has the right to life, the more the first steps in building it will be sound, beginning with determining his value with himself, and ending with clarifying his position with others, whether with his kind or his environment, and this is what God Almighty has honored.

3 - Work, and this component depends on the concept of striving, and the rules and regulations imposed by the Sunnahs of God Almighty, and these Sunnahs do not favor anyone, whether he is a Muslim or a non-Muslim.

4 - Science. Islam is the religion of knowledge and life, and the source of civilizations. It takes into account the demands of thought, soul, and body within the limits of the path of goodness and the general benefit of all humanity. Through knowledge, civilizations are established, buildings are built, and knowledge is developed, which is reflected in the prosperity of human life. God Almighty grants man the ability to exercise reason and

contemplate creatures.

5 - The civilization of openness, the Islamic civilization, the civilization of openness, and this description is close and even similar to modern uses that symbolize the concept of coexistence between civilizations, cultures, and even religions. Since its birth, the Islamic civilization has experienced continuity of interaction with other civilizations, opening its intellectual, psychological, economic, and social borders to Different types of people, with all their beliefs, and with different purposes and goals of their civilizations.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أنبيائه، ورسله منشئي الحضارات الإنسانية الراقية، وفاتحي سبل التقدم والرقي الإنسانيين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على من كَمُلَتْ ببعثته الأسس الحضارية محمدٍ النبي العربي الذي اصطفاه الله لتبليغ رسالته للناس جميعًا، فأدى الأمانة، وأخلص النصيحة، ووضع الإنسانية بتعاليمه، وتربيته في طريق المجد الصاعد إلى قمم الحضارة المثلى الفكرية، والروحية، والنفسية، والمادية الفردية والاجتماعية، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين من الذين أسهموا في بناء حضارة المسلمين، مستهدين بهدي كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وعلى سائر الأنبياء الطاهرين الأبرار، والمرسلين المصطفين الأخيار الذين بلغوا رسالات ربهم، فأدوا الأمانة، وجاهدوا في الله حق جهاده، وكانوا بناة مخلصين صادقين في صرح الحضارة المجيدة التي اصطفاها الله للناس أجمعين، وكان كل لاحق منهم عاملاً في إكمال بنائه النظري الفكري والتدريب على بنائه العملي، حتى ختم الله ذلك بمحمد بن عبد الله العربي الهاشمي الأمين، الذي أنزل عليه القرآن المبين، ومثله معه من وحي وتبيين.

أما بعد؛

فقد يتمثل دور الشريعة الإسلامية فى بناء الحضارة الاسلامية بانها طبعتُها الطابع الانسانى وأكسِبَتُها النزعة الانسانية المستمدة من شخص النبي ﷺ , وذلك بفضل تأسى المسلمون بشخص النبي ﷺ , كما انها كانت التطبيق العملي لنصوص القران الكريم .

وإن الحضارة ليست فقط بناءاً مزدهراً، ولا عِمرانا متألقا، أو حياةً سهلةً جميلةً مزدهرةً - وإن كان هذا كلُه علاماتٍ ونتيجةً طبيعيةً للحضارة - لكنها تبدأ بالفكر، والمنهج المنير، والبحث العلمي، والتفكير الإبداعي الحر، وإعمال العقل في كل مناحي الحياة، إذا كان كل هذا موجودا في أمةٍ ما فإنها تبدأ حضارتُها وستعلن عنها من خلال الإنتاج المعنوي المتمثل بالقيم، والقوانين، والأخلاق، ومن خلال الإنتاج المادي المتمثل بالاختراعات، والاقتصاد، والرفاهية، والتطور، والبناء، وغيره .

وليس من شكٍ أن الحضارة مقرونة بالإنسان، مما يَعني أن أيَّ لَبِنَةٍ في بنائها منوطةٌ به دون النظر إلى لونه، أو جنسه، مع الوقوف المتكرر مع هويته، ومنبع أفكاره.

فالحضارة إذا كانت نتيجة لعطاءات هذا الإنسان، فهي كذلك ترجمة لقناعاته، وإبداعاته،

لكن قد تكون الحضارة، في مفهومها العام، غير محددة ؛ لأنها تختلف بحسب اختلاف صانعيها ؛ لأنها قد تخضع لمنطق الرفض من غير أهلها، لذا لم يبق لها من أمجادها إلا بعض أسوارها أو منقولات كلامية في صفحات تاريخها .

ومن أسباب ذلك أنها كانت مدعومة في جملتها من الاجتهاد البشري الخالص، وما تجب الإشارة إليه أن الحضارة مفادها استمرار وإعمار، مما يعني أن كل المحطات الإنسانية التي كانت قبل الرسالة الإسلامية هي محطات تداولية تخضع لمنطق التدافع، فالحضارة الفرعونية، أو الإغريقية، أو الفارسية، أو الرومانية قديما، أو الروسية، والأمريكية حديثا هي عطاءات تعميرية أكثر منها إنسانية، إذ كيف يعقل أن يحمل لنا التاريخ شهادات من كل الفنون الكلامية حول الاضطهاد الذي عانى منه البشر في هذه المحطات الحياتية على أنها حضارة، فهل يمكن أن تسمى الحضارة حضارة ما لم يكن الإنسان منعما ومكرما فيها ؟.

فقد تسعى الأُمَـمُ، والشعوبُ بشتى أشكالها إلى بناء الحضارة، وتكوين الأمة التي تتميَّز بخصائص ثقافية، واجتماعية، ومادية تختلف عن باقي الأمم ؛ وذلك لتتسلَّمَ زِمامَ الصدارة في العالم، وتُصَدِّر مقوِّمات [١] حضارتها للآخرين ؛ لعدة أهداف منها ما يحدث في العصر الحالي من فرض النموذج الغربي ؛ ليكون هو النموذج الأمثل لإنسان الحضارة الذي يتميَّزُ بالمثُل العُلْيا، والمحافظة على حقوق الإنسان كما يدَّعُون .

بإزاء ذلك يجبُ على المفكرين في العالم الإسلامي أصحاب الحضارة الإسلامية العريقة التي امتدَّتْ لقرُونٍ عديدةٍ أثْرَتْ خلالها المعرفةَ الإنسانيةَ بكثيرٍ من العلوم، والفنون، والمهارات - أن يُكثِّفُوا الجهود لاستكمال مسيرة الحضارة الإسلامية، عن طريق إبراز العوامل، والمقوِّمات التي أسْهَمَتْ في بناء إنسان الحضارة الإسلامية .

ولعلَّ نظرية التربية الإسلامية تضطلع بدور هامٍّ في هذا المجال ؛ حيث إنها تُعبِّر عن التصوُّرات الفكرية التي ينطلق من خلالها المربُّون إلى بناء المناهج التي تُسهِم في المشروع الحضاري للأُمَّة عن طريق إبراز انعكاسات التصوُّر الإسلامي للمعرفة، والقيم، والكون، والحياة، والإنسان، على كافة أركان العملية التربوية من أهداف، ووسائل، وطرق .....، وغيرها [٢] .

---

(١) المقومات : هي كل ما يتألف أو يتركب منه جسم، أو جهاز أو مشروع من عناصر أساسية، تسهم في قيامه ووجوده وفاعليته، مقومات الحياة: عناصرها وعواملها الأساسية التي بها تقوم مقومات العمران؛ (معجم المعاني، المعاني الجامع، مقومات).

(٢) يُنظر : مقومات إنسان الحضارة في نظرية التربية الإسلامية إيمان عبدالعزيز الأحمدي، ماجستير في أصول التربية، طالبة

المطلب الأول: تعريف الحضارة والمعرفة لغة، واصطلاحاً

الحضارة في اللغة : الإقامة في الحَضَر، والحَضَر والحَضْرة والحاضرة والحضارة بفتح الحاء وكسرها سكون الحضر، وهي خلاف البادية، وهي المدن، والقرى، والريف، سميت بذلك ؛ لأن أهلها حضروا الأمصار، ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار، وحين تُذكر الحضارة في اللغة فإنّه يقصد بها ما هو عكس البداوة، أي سكنى المدن والقرى [١] .

والمعنى اللغويّ هو غير المعنى الاصطلاحيِّ، ولو كان ذا صلة به . ومرادنا في هذا البحث الوقوف على المعنى الاصطلاحيِّ للحضارة، وأوّل من توسّع في الكلام عن الحضارة، والتفريق بينها، وبين البداوة هو عبد الرحمن بن خلدون (ت: ٨٠٨ هـ)، الّذي يرى: ((أن الناس حين تخطَّوا في كسبهم للمعاش ما هو ضروري وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه، دعاهم ذلك إلى السكون، والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة، واستكثروا من الأقوات، والملابس، والتأنُّق فيها، وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضُّر، ثمّ تزيد حالة الرفه والدعة فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنّق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك، ومعالاة البيوت والصروح وإحكام وضعها في تنجيدها والانتهاء في الصنائع في الخروج من القوّة إلى الفعل إلى غايتها فيتّخذون القصور والمنازل ويُجرون فيها المياه ويعالون في صرحها ويبالغون في تنجيدها ويختلفون من استجادة ما يتّخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون. وهؤلاء هم الحضر، ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان)) [٢].

والحضارة في الاصطلاح : فقد تعدّدت تعريفات مصطلح الحضارة تبعاً لاختلاف المدارس الفكريّة، ووجهات النظر المختلفة، **إلّا أن المفهوم العام لمصطلحِ الحضارة يُعرّفها بأنّها** : عبارة عن مجموعةٍ من العقائد، والمبادئ المنظِّمة للمجتمع، وتُمثّل ناتج النشاط البشري في مختلف المجالات كالعلوم، والآداب، والفنون، وما ينجم عن هذا النشاط من ميول قادرة على صياغة أساليب الحياة المختلفة، والأنماط السلوكيّة، والمناهج المختلفة في التفكير، وقد تطوّر مصطلح الحضارة مع تعاقب العصور، وتعدّدت تعريفاته، والرؤى الخاصة به، فرأى ابن خلدون أن الحضارة هي التفنّن في الترف بما يشمل الملابس، والمباني، والمطابخ، وكلّ ما يخص المنزل،

دكتوراه في أصول التربية في جامعة أم القرى، بمكة المكرمة .

(١) يُنظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ٢ / ٦٣٢، مادة (حضر) . لسان العرب : ٤ / ١٩٦ ١٩٧، مادة (حضر) . المصباح المنير : ١ / ١٤٠ مادة (حضر) .

(٢) تاريخ ابن خلدون : ١ / ١٥٠ .

والأمور التابعة له، كما يُعرَّفها ابن خلدون بأنّها أحوال عادية من أحوال العمران تزيد عن الضروري بدرجات مختلفة، ومتفاوتة تبعاً لتفاوت الرفاهية، وتفاوت الأمم بقلّتها، وكثرتها[١]. .

وقيل الحضارة : هي مظاهر الرقي العلمي، والفني، والأدبي، والاجتماعي في الحضر، أو هي مجموع الميزات، والخصائص الاجتماعية، والدينية، والخلقية، والتقنية، والعلمية، والأدبية، والفنية عند شعب معين. فقد يراد منها التعبير عن طراز العيش الّذي يسود مجتمعاً من المجتمعات أي هوية ذلك المجتمع .. فالمجتمع عبارة عن مجموعة منظَّمة من الأفراد، والحضارة مجموعة منظَّمة من الاستجابات الّتي تعلَّمها الأفراد وأصبحت من مميِّزات مجتمع معيّن .

المعرفة لغة : العرفان : العلم، ورجل عروف وعروفة، عارف يعرف الأمور، ولا ينكر أحدا رآه مرة، والهاء في عروفة للمبالغة . والعريف والعارف بمعنى مثل عليم وعالم .[٢]

المعرفة اصطلاحًا : ((إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم، ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف)) [٣].

وقيل : ((إدراك الشيء بتفكر وتدبر، فهو أخص من العلم. ويقال فلان يعرف الله، ولا يقال يعلم الله، لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل إليه بتفكر، ويضاد المعرفة الإنكار، والعلم الجهل)) [٤]..

المطلب الثاني: أُسس ومقومات ومرتكزات البناء الحضاري والمعرفي في الشريعة الإسلامية

أولاً : حضارة التوحيد والإيمان بالله تعالى، والارتباط به جملة وتفصيلا : وهذا جوهر الرسالة الإسلامية، فكان الله تعالى رحيما بالناس أن دلّهم في كل مواطن آياته المسطورة، والبحث الطبيعي المفطور داخل آياته المنظورة بقوله تعالى : **((إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب))** [٥]، وهذا هو جوهر البناء الحضاري، لأنه مقرون بغاية وجود

---

(١) يُنظر : تاريخ ابن خلدون : ١ / ١٥٤، و ٤٦١، و٤٦٩ .

(٢) يُنظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ٤ / ١٤٠٠، مادة (عرف) . لسان العرب : ٩ / ٢٣٦، مادة (عرف) . المصباح المنير : ٢ / ٤٠٤ مادة (عرف) .

(٣) التعريفات – للجرجاني : ٢٢١ .

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف – للمناوي : ٢٤٠ .

(٥) سورة آل عمران : الآية : (١٩٠) .

الإنسان لقوله تعالى : **((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون))** [١]، أي ليعرفون كما فسرها ترجمان القرآن، الصحابي الجليل عبد الله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، إلى أنه لا معبود بحق يتعلق به القلب، والعقل، والوجدان إلا الله سبحانه وتعالى .

وإن عقيدة التوحيد، التي دان بها المسلمون منذ قيام الحياة على الأرض، أحد الأسباب الرئيسة في قيام الحضارة الإسلامية، التي هي بالدرجة الأولى إنسانية النزعة قبل أن تكون إسلامية العقيدة [٢]. وتبعث العقيدة الصحيحة في نفوس أصحابها طمأنينة القلب، وصدق الهداية، وراحة البال، قال تعالى : **((ومن يؤمن بالله يهدي قلبه والله بكل شيء عليم))** [٣] .

فالاعتقاد في الله يكسب الإنسان الثقة بربه، والرجاء فيه، وتسليم العبودية له، لأن الإيمان نور وفرقان يهدي قلب المؤمن إلى الحقيقة، ويكسبه فراسة اليقين، والرضا بالمقدور، وصدق رسول الله ﷺ وهو يعلم أصحابه كيفية الاعتقاد الصحيح إذ قال : **((احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ))** [٤] .

فقد قال النبي ﷺ : **((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ))** [٥].

وقول النبي ﷺ : **((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))**[٦].. ومن خلال

---

(١) سورة الذاريات : الآية : (٥٦) .

(٢) يُنظر : الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات د. عمر عبيد حسنة . بحث على موقع شبكة الإنترنت .

(٣) سورة التغابن : (١١) .

(٤) سنن الترمذي : ٤ / ٦٦٧، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم الحديث : ((٢٥١٦)) . وقال أبو عيسى الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . مسند الإمام أحمد : ٤ / ٤٨٧، رقم الحديث : ((٢٧٦٣)) .

(٥) صحيح البخاري : ١ / ١٢، كتاب الوحي، باب (حب الرسول من الإيمان)، رقم الحديث : ((١٤)) . صحيح مسلم : ١ / ٦٧، كتاب الإيمان، باب (وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد، والوالد، والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة)، رقم الحديث : ((٤٤)).

(٦) صحيح البخاري : ١ / ١٢، كتاب الإيمان، باب (من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، رقم الحديث : ((١٣)) . سنن الترمذي : ٤ / ٦٦٧، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم الحديث : ((٢٥١٥)) . سنن الدارمي : ٣ / ١٨٠١، كتاب الرقائق، باب (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، رقم الحديث : ((٢٧٨٢)) . مسند الإمام أحمد : ٢٠ / ٣٩٤، رقم الحديث : ((١٣١٤٦)) .

هذه الآيات والأحاديث النبوية الشريفة يتبين أن توحيد العبودية لله، وإخلاص الألوهية له يُخرج أجيالاً من دعاة الخير، وبُناة الصلاح في الأرض، الذين استطاعوا ومنذ فجر الإسلام أن يبنوا حضارة إسلامية قوامها عقيدة صحيحة، أكسبت الإنسان إرادة قوية في بناء الخير، وإسعاد البشرية في شتى المجالات العمرانية، والاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية ؛ لأن الإنسان البنَّاء لفعل الخيرات يؤمن إيماناً مطلقاً أن ذلك سيحقق له عند الله خيراً، وسعادة خالدة، وثواباً حسناً، يقول تعالى : **((من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة))** (١) .

لذلك ففعل الخيرات ونشر معانيها بين الناس هو الأمر المطلوب في أسس الحضارة الإسلامية كما هو مقرر في قوله تعالى : **((ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا))** (٢) . والمقصود بـ **(ما يوعظون به)** كل أسباب بناء العمارة والاستخلاف على الوجه الحق، الذي جاءت مُوَجِّهَاتُه، وتوجيهاتُه، وأنوارُه مبينةً، ومُفَصِّلَةً في الكتاب العزيز، والسنة النبوية المطهرة (٣) .

وقد بينت السنة النبوية المطهرة، وأوضحت للناس الحدود الفاصلة بين الخير، والشر، قال النبي ﷺ : **((الْحَلالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ))** (٤) .

وإن محور العقيدة هو منطلق الحرية الإنسانية في التصديق بالذات الإلهية، وإخلاص الربوبية والألوهية لها، فالتوحيد هو غاية الخلافة، والعمارة، والعبادة في الأرض . وفي الخلافة، والعمارة، والعبادة توازن بين المادة، والروح (٥)، قال تعالى: **((وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ))** (٦) .

---

(١) سورة النحل : الآية : (٩٧) .

(٢) سورة النساء : الآية : (٦٦) .

(٣) يُنظر : الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات د. عمر عبيد حسنة . بحث على موقع شبكة الإنترنت .

(٤) صحيح البخاري : ١ / ٢٠، كتاب الإيمان، باب (فضل من استبرأ لدينه)، رقم الحديث : ((٥٢)) . و ٣ / ٥٣، كتاب البيوع، باب (الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات)، رقم الحديث : ((٢٠٥١)) . صحيح مسلم : ٣ / ١٢١٩، كتاب المساقاة، باب (أخذ الحلال وترك الشبهات)، رقم الحديث : ((١٥٩٩)) .

(٥) يُنظر : الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات د. عمر عبيد حسنة . بحث على موقع شبكة الإنترنت .

(٦) سورة القصص : الآية : (٧٧) .

ومن خلال هذه العقيدة تبرُز الهُوِية الإسلامية التي تعرف بأنها ((الإيمان بعقيدة هذه الأُمَّة، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية، والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية، والاعتزاز والتمسُّك بها، والشعور بالتميُّز، والاستقلالية الفردية، والجماعية، والقيام بحقِّ الرسالة، وواجب البلاغ، والشهادة على الناس))[١]، إذًا الهُوِية هي التي تُميِّز إنسان الحضارة الإسلامية عن غيره، وتصبغه بالإسلام ؛ قال الله تعالى : ﴿ **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ** ﴾[٢]، فالنظرية التربوية الإسلامية هي التي تصبغ الإنسان في عقيدته، وفكره، ومشاعره، وتصوُّراته، وأهدافه، وسلوكه، وسائر أعماله ؛ قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[٣]، والهُوِيَّة الإسلامية هي الدافعة لإنشاء خير حضارة إسلامية، فالإنسان الذي يُعاني مَن فَقْدِ الهُوِية، وما يتبعه من استلاب ثقافي لا يمكن أن يبني مجدًا، أو علمًا[٤] .

ثانياً : حضارة الإنسان :

فكلما كان لهذا الإنسان حقه في الحياة كلما كانت أولى خطوات البناء سليمة، بدايةً بتحديد قيمتِهِ مع نفسه، ونهايةً ببيانِ مكانتِهِ مع غيره، سواء مع بني جنسِهِ، أو بيئتِهِ، وهذا ما أكرمه الله عز وجل به بقوله : ((**ولقد كرمنا بني آدم**))[٥]، لذا جاءت الحضارةُ الإسلاميةُ في كل مكوناتها تركز على الإنسان أولاً ؛ لأن تقويمَه هو حَصْد للنتائج الإيجابية في كل شيء، والنبي ﷺ عندما عُرِضَ عليه مُلْكُ العربِ جاهاً، كان منطقه الرفض ؛ لأن ماديةَ الكسبِ محدودةٌ في مقابل بناءِ الروحِ، فالأولى محكوم عليها بالزوال، والثانية محكوم عليها بالاستمرار والدوام، وخير دليل على ذلك ما قدمه ﷺ من رجال ملئوا الدنيا بالخير، والعدل، واستمرار عطاءاتِهم خالدة إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، إذ لكل زمن رجاله وأهله، ولكن ليس لكل زمان إلا آليات، وقناعات وقواعد واحدة، هي كتاب الله تعالى، وسنته ﷺ[٦] .

---

(١) الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية خليل نوري، سنة (١٤٣٠)، ديوان الوقف السني، ط ١، العراق.

(٢) سورة البقرة : الآية : (١٣٨) .

(٣) سورة الأنعام : الآية : (١٦٢) .

(٤) يُنظر : مقومات إنسان الحضارة في نظرية التربية الإسلامية إيمان عبدالعزيز الأحمدي، ماجستير في أصول التربية، طالبة دكتوراه في أصول التربية في جامعة أم القرى، بمكة المكرمة.

(٥) سورة الاسراء : الآية : (٧٠) .

(٦) يُنظر : مقومات البناء الحضاري عبد الله أبو عوض، بحث منشور على موقع شبكة الإنترنت .

ويتَّفِق الباحثون [١] في الحضارة بشكل عامٍّ أن الإنسان هو العامل الأساسي والمشترك لبناء كافة أشكال الحضارة مادة وفكرًا، ومن هنا تبرُز أهمية تربيته، وتنشئته بطريقة صحيحة جِسْمًا وعَقْلًا؛ ليؤدِّي دورَه كاملًا في بناء المجتمع، وتكوين الحضارة، والارتقاء بها، وهذا ما يُعَدُّ من أهمِّ أهداف نظرية التربية الإسلامية .

وتحتوي نظرية التربية الإسلامية على كافة الأسس التي يقوم عليها بناء إنسان الحضارة، والتي ورَدَتْ في أدبيَّات الحضارة، ومن أبرزها أن يكون لدى إنسان الحضارة فكرةٌ أو معتقدٌ يُؤمِن به، ويسعى لبناء الحضارة في ضوئه، كما أن تمسُّك الفرد بهُوِية نابعة من هذا المعتقد أو الفكرة من أبرز العوامل التي تساعد الفرد على الإسهام في بناء الحضارة التي ينتمي إليها، ويعتزُّ بها، وينشُر مبادئها لكل العالم، كما تُشير الدراسات [٢] في قيام الحضارات إلى أهمية العلم كأبرز مقوِّم من مقوِّمات بناء الحضارة، والتقدُّم المادي، والتكنولوجي للأُمَم، ولم تغفل الدراسات عن أهمية الأخلاق عند إنسان الحضارة، وبالأخلاق ترتقي الأمم وتبني الحضارات، وكل هذه المقوِّمات إذا افتقدت الفعاليةَ [٣] لدى إنسان الحضارة، قد لا تؤدي إلى النتيجة المطلوبة، فالفعالية هي التي تدفع إنسان الحضارة إلى الاستفادة من العلم، وَفْق أخلاقيَّات العلم لتقديم منتجات مادية نافعة للعالم، تُسهم في تحسين حياتهم للأفضل، ولا تُسبِّب الضَّرَر للبشرية [٤] .

وبناءً على ما تقدَّم من مقوِّمات إنسان الحضارة التي سيتمُّ استعراضها من خلال النظرة للإنسان في نظرية التربية الإسلامية، نجد أن أولى هذه المقومات هي أن إنسان الحضارة هو إنسان يؤمن بفكرة قوية، أو معتقد يرتقي به إلى عالم الرُّوح، وينأَى به عن الاهتمام بالحياة الدنيا فقط ؛ بل يتطلَّع إلى بناء الحضارة، وإعمار الكون استجابةً لهذه العقيدة، وتتمثَّل هذه العقيدة في النظرية

---

(١) يُنظر: الدور الحضاري للدين: دراسة تحليلية لمفهوم ودور الفكرة الدينية المركبة بدران بن الحسن، مجلة جيل الدراسات الأدبية، والفكرية، سنة (٢٠١٥)، معالم منهج التجديد في الفلسفة الإسلامية مقداد يالجن، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، سنة (١٩٩١) .

(٢) يُنظر: تأمُّلات لمالك بن نبي، قصة الحضارة ول وايريل ديورانت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، فلسفة الحضارة ألبرت اشفيتسر، ترجمة د. زكي نجيب محمود، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، سنة (١٩٦٣) .

(٣) هي الأثر لأفكارنا على أرض الواقع، فكل عمل أو قول لا يُحقِّق نتائج عملية يكون فاقد الفاعلية، وقال مالك بن نبي: الفاعلية هي حركة الإنسان في صناعة التاريخ (إذا تحرَّكَ الإنسان تحرَّكَ المجتمع والتاريخ).

(٤) يُنظر : مقومات إنسان الحضارة في نظرية التربية الإسلامية إيمان عبدالعزيز الأحمدي، ماجستير في أصول التربية، طالبة دكتوراه في أصول التربية في جامعة أم القرى، بمكة المكرمة.

التربوية الإسلامية، بالعقيدة الإسلامية التي تنظر إلى إنسان الحضارة أنه مكوَّن من جسد ورُوح، ويجب الاهتمام بكلا الجانبين في تربية هذا الإنسان، والعقيدة الإسلامية هي القوة الحقيقية الدافعة لكل عمل خير، فهي الدافعة لعمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني (١) الذي يُنشئ حضارةً إنسانية شاملةً

ثالثاً : حضارة العمل :

وهذا المقوم مرهون بمفهوم السعي، وما تفرضه سنن الله تعالى من قواعد وضوابط، وهذه السنن لا تحابي أحدا، سواء كان مسلما أو غير مسلم، وإنما ثمرة العمل هي ما تفضي إلى النتائج المرجوة، وهذا الركن هو المشترك بين الحضارة الإسلامية وغيرِها من الممارسات الإنسانية الأخرى، لذا استنبط علماء الإسلام قاعدة مفادها { **اللَّهُ يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً وَلَا يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُؤْمِنَةً**} (٢)، وما سبق من المحطات التاريخية في الدورات الإنسانية كانت أمجادها قائمة على العمل (٣) .

والمسلمون في هذا العصر أفرغوا الحضارة الإسلامية من هذا الركن، لأنهم قوّموا حياتهم على منهج (الإمعية)، الذي حذر منه النبي ﷺ بقوله : **((لاتكونوا إمعة ولكن وطنوا أنفسكم))** (٤)، محمّلين أنفسهم قناعة المقوم الأول دون التقيد بشروطه، وأركانه.

والحضارة الإسلامية جاءت مُلَخَّصَةً في قول الله تعالى : **((والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر *))** (٥)، أي آمنوا فكان قوام هذا الإيمان العلم، وعملوا فكان قوام هذا العمل السعي، والحق كان قوامه العدل، والصبر فكان قوامه التعايش، والتسامح (٦) .

---

(١) الأساس العقائدي لنهضة المسلمين العلمية والحضارية، يحيى باقاسي، (١٤٠٩)، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى.

(٢) يُنظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ٢٨ / ٦٣ .

(٣) يُنظر : مقومات البناء الحضاري عبد الله أبو عوض، بحث منشور على موقع شبكة الإنترنت .

(٤) سنن الترمذي : ٤ / ٣٦٤، أبواب البر والصلة، باب (ما جاء في الإحسان والعفو) . قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلاّ من هذا الوجه . والحديث ضعفه الألباني . مسند البزار : المسمى (البحر الزخار) : ٧ / ٢٢٩، رقم الحديث : ((٢٨٠٢)) . شرح السنة للبغوي : ١٣ / ٣٢، كتاب البر والصلة، باب (بر أم الرضاع)، رقم الحديث : ((٣٤٤٤)) .

(٥) سورة العصر : الآية : (١ ٣) .

(٦) يُنظر : مقومات البناء الحضاري عبد الله أبو عوض، بحث منشور على موقع شبكة الإنترنت .

وهذا ما يُحقِّق الفعالية، وقد ذكر المهتمُّون [١] بالحضارة أهمية الفعالية لدى الإنسان لبناء المشروع الحضاري، فلا يكفي توفُّر العقيدة، والعلم، والأخلاق بدون عمل وفعالية في واقع الحياة، وهذا ما نلمس بعض جوانبه في العصر الحالي ؛ حيث تتوافر كافة المقوِّمات الفكرية في نظرية التربية الإسلامية اللازمة لبناء المشروع الحضاري، إلا أنه ينقصها بلورةُ هذه المفاهيم بصورة أكبر تُسهِّل من عملية تطبيقها في الواقع التعليمي التربوي، والنظرة للإنسان في نظرية التربية الإسلامية تؤكِّد أن الإنسان يجب أن يكون عضوًا فاعلًا، ومنتجًا في مجتمعه ؛ قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [٢]، والاستخلاف يقتضي اقتران العلم بالعمل، وهذا ما ظهر جليًّا في كثير من المواطن في القرآن والسنة ؛ مما يدعم بناء المشروع الحضاري الإسلامي [٣] .

رابعاً : حضارة العلم :

إن بلوغَ الأهداف والمرام رهنٌ يرسم طريق الحياة وفق منهاج سليم، وغايات نبيلة، ولا يتم ذلك إلا بحدود معينة من العلم، والمعرفة ومصطلحان (العلم)، و(المعرفة) شاملان وواسعان لا يحدهما زمان، ولا مكان، ولا عبارات [٤] .

ويعرف الجرجاني العلم : بأنه ((الاعتقاد الجازم المطابق للواقع)) [٥] .

إن إسناد مهمة الخلافة للإنسان في الأرض هو من الشرف، والتكريم العظيم، الذي ناله الإنسان من لدن رب العالمين : **((وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة))** [٦]، وقال تعالى : **((وهو الذي جعلكم خلائف الأرض))** [٧] .

---

(١) يُنظر : الفعالية في فكر مالك بن نبي وعلاقتها بالثقافة والحضارة عواطف الصقري : ٢٨ / ١١٠، المجلة التربوية، الكويت، سنة (٢٠١٤) .

(٢) سورة البقرة : الآية : (٣٠) .

(٣) يُنظر : مقومات إنسان الحضارة في نظرية التربية الإسلامية إيمان عبدالعزيز الأحمدي، ماجستير في أصول التربية، طالبة دكتوراه في أصول التربية في جامعة أم القرى، بمكة المكرمة.

(٤) يُنظر : الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات د. عمر عبيد حسنة . بحث على موقع شبكة الإنترنت .

(٥) التعريفات للجرجاني : ١٥٥ .

(٦) سورة البقرة : الآية : (٣٠) .

(٧) سورة الأنعام : الآية : (١٦٥) .

لقد وردت أحاديث، وأخبار تؤكد دعوة الإسلام إلى العلم، والتعلم، وترشد إلى فضله، وفضيلته، إذ قال الرسول ﷺ : **((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ))** (١).

وفي رواية أخرى : **((ويلهمه رشده))** (٢) .

وقال ﷺ : **((إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ))** (٣)، ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة، ولا شرف فوق الوراثة لتلك الرتبة .

وقال ﷺ : **((خَصْلَتَانِ لا تَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ : حُسْنُ سَمْتٍ، وَلا فِقْهٌ فِي الدِّينِ))** (٤).

حَسُنَ سَمْتُهُ، أيْ هَيْئَتُهُ، ووَقَارُهُ، وَسَكِينَتُهُ .

وقال ﷺ : **((النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ إِذَا فَقُهُوا))** (٥).

وقال ﷺ : **((فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ))** (٦) .

---

(١) صحيح البخاري : ١ / ٢٤، كتاب العلم، باب (العلم قبل القول والعمل)، و ١ / ٢٥، كتاب العلم، باب (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)، رقم الحديث : ((٧١)) . صحيح مسلم : ٢ / ٧١٨، كتاب الزكاة، باب (النهي عن المسألة)، رقم الحديث : ((١٠٣٧)) .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١ / ٤٤٤، رقم الحديث : ((٦٤٥)) . المعجم الكبير للطبراني : ١٩ / ٣٤٠، رقم الحديث : ((٧٨٦)) . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني : ٤ / ١٠٧ .

(٣) سنن الترمذي : ٥ / ٤٨، أبواب العلم، بَابُ (مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الفِقْهِ عَلَى العِبَادَةِ)، رقم الحديث : ((٢٦٨٢)) . وقال أبو عيسى الترمذي : وَلَا نَعْرِفُ هَذَا الحَدِيثَ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَاصِمِ بْنِ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ، وَلَيْسَ هُوَ عِنْدِي بِمُتَّصِلٍ هَكَذَا حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ خِدَاشٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَإِنَّمَا يُرْوَى هَذَا الحَدِيثُ عَنْ عَاصِمِ بْنِ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ جَمِيلٍ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ مَحْمُودِ بْنِ خِدَاشٍ، وَرَأْيُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ هَذَا أَصَحُّ . سنن ابن ماجه : ١ / ٨١، باب (فضل العلماء والحث على طلب العلم)، رقم الحديث : ((٢٢٣)) . قال الشيخ الألباني : صحيح .

(٤) سنن الترمذي : ٥ / ٤٩، أبواب العلم، باب (ما جاء في فضل الفقه على العباد)، رقم الحديث : ((٢٦٨٤)) . وقال الترمذي : ((هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَلَا نَعْرِفُ هَذَا الحَدِيثَ مِنْ حَدِيثِ عَوْفٍ، إِلَّا مِنْ حَدِيثِ هَذَا الشَّيْخِ خَلَفِ بْنِ أَيُّوبَ العَامِرِيِّ، وَلَمْ أَرَ أَحَدًا يَرْوِي عَنْهُ غَيْرَ مُحَمَّدِ بْنِ العَلَاءِ، وَلَا أَدْرِي كَيْفَ هُوَ)) . وقال الشيخ الألباني : صحيح . الزهد والرقائق لابن المبارك : ١ / ١٥٥، باب (ذم الرياء والعجب وغير ذلك)، رقم الحديث : ((٤٥٩)) . المعجم الأوسط للطبراني : ٨ / ٧٥، رقم الحديث : ((٨٠١٠)) . لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَوْفٍ إِلَّا خَلَفُ بْنُ أَيُّوبَ، تَفَرَّدَ بِهِ: أَبُو كُرَيْبٍ . مسند الشهاب للقضاعي : ١ / ٢١٠، رقم الحديث : ((٣١٨)) .

(٥) صحيح مسلم : ٤ / ٢٠٣١، كتاب البر والصلة والآداب، باب (الأرواح جنود مجندة)، رقم الحديث : ((٢٦٣٨)) . مسند الإمام أحمد : ١٦ / ٥٦٠، رقم الحديث : ((١٠٩٥٦)) .

(٦) سنن الترمذي : ٥ / ٤٨، أبواب العلم، باب (ما جاء في فضل الفقه على العباد)، رقم الحديث : ((٢٧٨١)) . وقال

وسئل رسول الله ﷺ : **((أي الأعمال أفضل ؟ فقال : العلم بالله عز وجل . فقيل : أي العمل تريد ؟ قال ﷺ : العلم بالله سبحانه. فقيل له : نسأل عن العمل، وتجيب عن العلم ! فقال ﷺ : إنَّ قليلَ العملِ ينفع مع العلم بالله، وإنَّ كثيرَ العملِ لا ينفع مع الجهل بالله))** (١) .

نستشعر من خلال هذه الآثار فضيلة العلم، ومكانة العلماء بين سائر الناس، وكيف أن الرسول ﷺ جعل رتبتهم بعد رتبة الأنبياء ؛ لأن العلم هو روح الحضارات وروح الحياة، ولا معنى لعمل بدون علم (٢) .

وفي هذا الصدد قال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ناظماً (٣) : ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم وَقَدْرُ كُلِّ امرئ ما كان يُحْسِنُهُ ففز بعلم تعش حياً به أبداً على الهدى لمن استهدى أدلاء والجاهلون لأهل العلم أعداء الناس موتى وأهل العلم أحياء، لذلك نجد أن الصحابة، (رضوان الله عليهم)، دأبوا على تَحَمُّلِ أمانةِ الدِّينِ، ورسالةِ العلمِ، فحفظوا القرآن الكريم وبينوه، وحفظوا السنة النبوية، وبلغوا معانيها عِلْماً، وعملاً للناس، ومن بعدهم التابعون الذين اشتغلوا في الحديث النبوي الشريف (٤) .

ومن آثار مدارسة القرآن الكريم، والسنة النبوية ابتكار كثير من العلوم الإسلامية، التي تفنن العلماء المختصون في تصنيفها وتبويبها.

وخلاصة القول : إن الإسلام دين العلم، والحياة، ومنبع الحضارات، فقد راعى مطالب الفكر، والنفس، والجسد في حدود طريق الخير، والنفع العام لكل الإنسانية.

أبو عيسى الترمذي : ((هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَلَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ الوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ)) .سنن ابن ماجه : ١ / ٨١، باب (فضل العلماء والحث على طلب العلم)، رقم الحديث : ((٢٢٢)) . قال الشيخ الألباني : موضوع . المعجم الكبير للطبراني : ١١ / ٧٨، رقم الحديث : ((١١٠٩٩)) . مسند الشاميين للطبراني : ٢ / ١٦١، رقم الحديث : ((١١٠٩)) . شرح السنة للبغوي : ١ / ٢٧٨، كتاب العلم، باب (فضل العلم)، رقم الحديث : ((١٢٩)) .

(١) جامع بيان العلم وفضله للقرطبي : ١ / ٢٠٢، باب (جامع في فضل العلم)، رقم الحديث : ((٢١٤)) .

(٢) يُنظر : الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات د. عمر عبيد حسنة . بحث على موقع شبكة الإنترنت .

(٣) يُنظر : زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن بن مسعود اليوسي : ١ / ٢٦٤، مجاني الأدب في حدائق العرب رزق الله شيخو : ٣ / ١٣١، جواهر الأدب في الأبيات وإنشاء لغة العرب أحمد بن إبراهيم الهاشمي : ٢ / ٤٥١، صيد الأفكارفي الأدب والأخلاق والحكم والأمثال القاضي حسين بن محمد المهدي : ١ / ٧٩، الدر الفريد والبيت القصيد للمستعصمي : ٤ / ١٩١، رقم ((٣٩٤٤)) .

(٤) يُنظر : الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات د. عمر عبيد حسنة . بحث على موقع شبكة الإنترنت .

والعلم لا يكون نافعاً إلا إذا استوعب حاملُه روحَه، وجسدَه،، وفهم أن العلم الذي لا تنقضي حضارتُه، ولا تندرس معالِمُهُ هو العلم الذي رسم شروطَهُ، وأساليبَهُ الوحيُ في آيات القرآن الكريم، وأكدتْهُ جوامِعُ الكَلِمِ من السنة النبوية المطهرة.

وقد دلت الأحاديث النبوية على إثابة صاحب العمل الصالح، الذي يجمع في عَمَلِهِ بين العلم بمقاصد الشريعة، والإخلاص في العمل، وفي حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار، وهو حديث في الصحيحين، وغيرهما، أنه لما انطبقت عليهم الصخرة قالوا: ((ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ)) (١).

ومن جهة أخرى ينبغي أن يَدْرُكَ كُلُّ مَن يَحملُ رسالة الإسلام على عاتقه أن عمارة الأرض هي جزء من عبادة الله تعالى، وابتغاء الرزق جزء من عبادة الله تعالى، واستخدام الزينة الطيبة جزء من عبادة الله تعالى، وتذوق الجمال، والبحث عنه في ملكوت الله تعالى جزء من عبادة الله تعالى، وتعلم الصنائع المختلفة جزء من عبادة الله تعالى، والجمع بين العبادة، والعمل خصلة حميدة يحدثنا عنها القرآن الكريم، في قوله تعالى : **((قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ ۞ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ))**(٢).

لقد منحت الحضارة الإسلامية للإنسانية كثيرا من علومها، وإبداعاتها في شتى المجالات، ولا زال العالم ينتفع بما قدمته هذه الحضارة من علوم، ومعارف، وإبداعات، وذلك لما امتازت به حضارة الإسلام من اهتمام بالغ بتعلم العلم (٣)، قال رسول الله ﷺ : **((طلب العلم فريضة على كل مسلم))** (٤) .

ويهدف العلم في الحضارة الإسلامية إلى إسعاد البشرية كلها ؛ لذلك كان رسول الله ﷺ يتعوذ بالله من العلوم التي لا تنفع العلوم الضارة، فيقول : **((اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع))** (٥).

(١) صحيح البخاري : ٣ / ٧٩، كتاب البيوع، باب (إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرضي)، رقم الحديث : ((٢٢١٥)). السنن الكبرى للنسائي : ١٠ / ٣٩٧، كتاب الرقائق، باب (١١٨٢٦) .

(٢) سورة الأنعام : الآية : (١٦١ ١٦٣) .

(٣) يُنظر : العلم اساس البناء الحضاري، مقال على موقع شبكة الإنترنت، نشر بتاريخ: ٣١ أكتوبر ٢٠١٦ .

(٤) سنن ابن ماجه : ١ / ٨١، باب (فضل العلماء والحث على طلب العلم)، رقم الحديث : ((٢٢٤)) .

(٥) صحيح مسلم : ٤ / ٢٠٨٨، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب (التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما يعمل)، رقم الحديث : ((٢٧٢٢)) . سنن النسائي : ٨ / ٢٦٣، كتاب الاستعاذة، باب (الاستعاذة من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق)، رقم الحديث : ((٥٤٧٠))، و ٨ / ٢٨٤، كتاب الاستعاذة، باب (الاستعاذة من دعاء لايسمع)،

ومن إسهامات السنة النبوية في البناء الحضاري، وفي علم الأجنة ما أشارت إليه من مراحل تكوين الجنين، فلم تكن أية تفاصيل معلومة للبشرية إلى ما قبل قرنين، بينما تحدثت السنة النبوية عن مراحل تخلقه، وتكوينه، وهو ما توصل إليه العلم حديثا، قال رسول الله ﷺ : **((إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات: فيكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقى أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح))** (١).

ولقد كان للحضارة الإسلامية كثير من الإبداعات في شتى المجالات، ففي ميدان تدريس العلوم يعتبر المسلمون أول من أنشأ الجامعات العلمية، وكانت دار الحكمة أول جامعة ثم تلتها جامعة القرويين، ثم جامعة الأزهر، ثم انتشرت الجامعات في كل مكان (٢).

وبعد انتشار الإسلام ظهر علماء أطباء مسلمون حازوا قصب السبق في ميادينهم، فقد عرفت البشرية علم التخدير في العمليات الجراحية الطبية على أيدي الأطباء المسلمين، وهو ما كانوا يسمونه (المرقد) واكتشفوا الدورة الدموية، واخترعوا خيوط الجراحة من أمعاء الحيوانات، واكتشفوا الكثير من الأمراض كمرض الحساسية، ومرض الحصبة، والأمراض النفسية، والعصبية.

ولذا فمن الواجب علينا أن ننهض بما نهض به أوائلنا، من الأخذ بسبيل العلم، والاهتمام به، فالعلم سبيل العز، والرفعة، والكرامة، ولا تنهض الأمم، ولا تقوم الحضارات إلا بالعلم.

وبالعلم تقوم الحضارات، ويشيد البناء، وتتطوُّر المعارف، مما ينعكس على رخاء حياة الإنسان، ومن خلال النظرة للإنسان في نظرية التربية الإسلامية يتَّضِح أنه نظر إلى مكونات الطبيعة الإنسانية، أنها تتكوَّن من رُوح، وعقل، ونفسٍ، وجسم، والله سبحانه وتعالى كرَّم الإنسان، وفضَّلَه على سائر

رقم الحديث : ((٥٥٣٦ ٥٥٣٧)) .سنن ابن ماجه : ١ / ٩٢، باب (الانتفاع بالعلم والعمل به)، رقم الحديث : ((٢٥٠)) . مسند الإمام أمحمد : ٢١ / ٢٥٠ رقم الحديث : ((١٣٦٧٤))، و ٢١ / ٤٢١، رقم الحديث : ((١٤٠٢٣)) .

(١) صحيح البخاري : ٤ / ١١١، كتاب بدأ الخلق، باب (ذكر الملائكة)، رقم الحديث : ((٣٢٠٨))، و٤ / ١٣٣، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (خلق آدم صلوات الله عليه وذريته)، رقم الحديث : ((٣٣٣٢)) . سنن أبي داود : ٤ / ٢٢٨، كتاب شرح السنة، باب (في القدر)، رقم الحديث : ((٤٧٠٨)) . سنن الترمذي : ٤ / ٤٤٧، أبواب القدر، باب (ما جاء أن الأعمال بالخواتيم)، رقم الحديث : ((٢١٣٧)) . سنن ابن ماجه : ١ / ٢٩، باب في القدر، رقم الحديث : ((٧٦)) . مسند الإمام أحمد : ٦ / ١٢٥، رقم الحديث : ((٣٦٢٤))، و ٧ / ٤٨، رقم الحديث : ((٣٩٣٤))، و ٧ / ١٦٩، رقم الحديث : ((٤٠٩١)) .

(٢) يُنظر : العلم اساس البناء الحضاري، مقال على موقع شبكة الإنترنت، نشر بتاريخ: ٣١ أكتوبر ٢٠١٦ .

المخلوقات بالعقل [١] الذي هو مناط التكليف، وأمر الله تعالى الإنسان بإعمال العقل، والتفكُّر في المخلوقات، قال تعالى : ﴿ **قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [٢]، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ [٣]، ومن خلال التفكُّر في الكون يصل الإنسان إلى وحدانية الله تعالى، وأنه المتفرِّد بالخلق والأمر، ومن خلال التفكُّر في الكون يصل الإنسان إلى السُّنَن، والقوانين العلمية التي تُسهِم في ازدهار العلم، وتقدُّم البشرية، وبناء الحضارات [٤] .

وهذا العلم الذي تدعو النظرية الإسلامية له لا بد أن يتخلَّق بأخلاقيات العلم، ومن أهمها ألَّا يؤدي إلى دمار البشرية، وفناء الحضارات، فالأخلاق مكوِّن أساسي من مكونات الحضارة، يقول أحد المنظرين للحضارة : ((فلمَّا بحثت في ماهية الحضارة وطبيعتها تبيَّن لي في ختام المطاف أن الحضارة في جوهرها أخلاقية)) [٥]، والكاتب يتحدَّث عن الأخلاق بصفة عامة، فكيف بالأخلاق الإسلامية السامية المستمدَّة من القرآن والسنة، والتي تراعي الطبيعة الإنسانية التي فطرت على الخير كما ورد في نظرية التربية الإسلامية، فالأخلاق الإسلامية [٦] ((تُراعي فطرة النفس البشرية كما خلَقها الله تعالى بأبعادها المختلفة، وتوازن بشكل سوي ومنسجم ومتعادل بين العاطفة والعقل، والروح والجسد، وبين الفرد والجماعة، وبين العقيدة والعبادة، وبين الدين والدنيا ؛ لقوله تعالى : ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [٧].

فغاية الأخلاق الإسلامية تحقيق السعادة للإنسان في الدارين الدنيا، والآخرة [٨] .

---

(١) يُنظر : التربية الاسلامية عبد الله العقيل، مكتبة الرشد، ط٣، الرياض، سنة (١٤٣٢) .

(٢) سورة يونس : الآية : (١٠١) .

(٣) سورة آل عمران : الآية : (١٩٠) .

(٤) يُنظر : مقومات إنسان الحضارة في نظرية التربية الإسلامية إيمان عبدالعزيز الأحمدي، ماجستير في أصول التربية، طالبة دكتوراه في أصول التربية في جامعة أم القرى، بمكة المكرمة.

(٥) يُنظر : فلسفة الحضارة ألبرت اشفيتسر، ترجمة د. زكي نجيب محمود، سنة (١٩٦٣) الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

(٦) يُنظر : النظرية التربوية وتطبيقاتها عبر العصور. بدرية الميمان ؛ منى السالوس، سنة (١٤٣٥)، الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة، الرياض .

(٧) سورة القصص : الآية : (٧٧) .

(٨) يُنظر : مقومات إنسان الحضارة في نظرية التربية الإسلامية إيمان عبدالعزيز الأحمدي، ماجستير في أصول التربية، طالبة دكتوراه في أصول التربية في جامعة أم القرى، بمكة المكرمة .

أن توجيهات القرآن الكريم، والسنة النبوية هي التي دفعت علماءنا الأوائل إلى الاهتمام بالعلم، والإبداع فيه، والإبداع العلمي لا حد له، والإنتاج المعرفي لا سقف له، ولا زالت آيات القرآن الكريم، وأحاديث السنة النبوية تحمل الكثير من الأسرار العلمية التي تحتاج إلى سبر أغوارها، وفهم دقائقها [١]، قال تعالى : **((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ))** [٢].

خامساً : حضارة الانفتاح :

الحضارة الإسلامية حضارة الانفتاح، وهذا الوصف قريب بل مماثل للاستعمالات الحديثة التي ترمز إلى مفهوم التعايش بين الحضارات، والثقافات بل، والديانات . فالحضارة الإسلامية عاشت منذ ولادتِها استمراريةَ تفاعلٍ مع الحضارات الأخرى، ففتحت حدودها الفكرية، والنفسية، والاقتصادية، والاجتماعية على مختلف أنواع البشر، بكافة معتقداتِهم، وعلى اختلاف مقاصد، وأهداف حضاراتهم [٣] .

فخَيرُ الحضارةِ الإسلاميةِ جاء ليَعُمَّ الإنسانيةَ، ويُحْدِثَ توازناً في العلاقات البشرية داخلَ منظومةِ وحدةِ الأمةِ الواحدةِ، بدلاً من التمزق، والانحصارية التي دعت إليها بعضُ الحضاراتِ الماديةِ، بل عاش المسلمون منذ التاريخ الإسلامي الأولِ وحدةَ الأخوةِ التكامليةِ انطلاقاً من مبدأ قول النبي ﷺ : **((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))** [٤].

الدين الإسلامي جاء ليُعْلِمَ، ويُخبِرَ الإنسانيةَ بوحدة الأصل البشري، وأن التفاضل مرده إلى الاستقامة، والتقوى، ونشرِ مبادئ الخير، والفضيلةِ بين الناس، والمساهمةِ في بناء أمةٍ حضاريةٍ تسعى إلى توحيد الصفوف، وإرساءِ قواعدِ البناءِ الصُلبِ، وإماطةِ أساليبِ الهدمِ، بدءاً بتصحيح العقيدةِ الواحدةِ التي توحد الإنسانية في المبادئ، والمناهج، والمقاصد، والغايات، وتسعى إلى نبذِ أشكالِ الظلمِ، والاستبدادِ كلِها، مروراً بنشرِ قيمِ الخيرِ الساميةِ التي رسمَ طريقَها خالقُ البشريةِ،

---

(١) يُنظر : العلم اساس البناء الحضاري، مقال على موقع شبكة الإنترنت، نشر بتاريخ: ٣١ أكتوبر سنة ٢٠١٦، و مقومات إنسان الحضارة في نظرية التربية الإسلامية إيمان عبدالعزيز الأحمدي، ماجستير في أصول التربية، طالبة دكتوراه في أصول التربية في جامعة أم القرى، بمكة المكرمة.

(٢) سورة فصلت : الآية : (٥٣) .

(٣) يُنظر : الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات د. عمر عبيد حسنة . بحث على موقع شبكة الإنترنت .

(٤) الحديث سبق تخريجه .

رَبُّ العبادِ في آياتِ القرآن الكريم، وبيَّنها، وفَصَّلَها رسولُ الإنسانيةِ محمدٌ بن عبد الله ﷺ (١).

جاء الإسلامُ للناس كافةً، عقيدةً، وشريعةً، ومنهاجَ حياةٍ، مؤسساً، ومعلناً لمبدأ حفظِ الكرامةِ الإنسانيةِ، يقول الله تعالى : ((**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**)) (٢).

وتجسدت هذه المعاني النبيلةُ في حكم النبي ﷺ بين الناس، فنراه ﷺ يقيم الوزن بالقسط بين الناس، يحكم بالعدل بينهم، لا فرق عنده بين المسلم، والذمي، فها هو ﷺ تُعْرَضُ أمامَهُ قضيةُ سرقةِ درعٍ يَفْصِلُ فيها بالوحي الرباني، حينما اتُهم يهوديٌ بسرقتِها بينما السارقُ أحدُ المسلمين، فينزلَ القرآنُ مبرِّئاً ساحةَ اليهودي بقوله تعالى : ((**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً * وَاسْتَغْفِرْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً * وَلا تُجَادِلْ عَنْ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً**)) (٣).

فظهرت براءةُ اليهوديِّ، وأُدِينَ المسلمُ .. إنه دين الحق، والمساواة، والعدل، يقول تعالى : ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**)) (٤).

ويقول الرسول ﷺ لأسامة، رضي الله عنه، لما جاء شفيعاً في حدٍ : ((**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ**)) ؟ ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، فَقَالَ : ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا**)) (٥) .

وقد أعلن الرسول ﷺ تلك الكرامة، وتلك المساواة الجامعة على رؤوس الأشهاد في خُطبة الوداع، ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلانِ: بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ**

---

(١) يُنظر : الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات د. عمر عبيد حسنة . بحث على موقع شبكة الإنترنت .

(٢) سورة الإسراء : الآية : (٧٠) .

(٣) سورة النساء : الآية : (١٠٥-١٠٧) .

(٤) سورة المائدة : الآية : (٨) .

(٥) صحيح البخاري : ٨ / ١٦٠، كتاب الحدود، باب (كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان)، رقم الحديث: ((٦٧٨٨)) .

مِنْ تُرَابٍ)) (١).

وقال ﷺ : **((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحدٌ، أَلا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلا بِالتَّقْوَى))** (٢). .

إن العلاقات في المجتمع الإسلامي إنما تبني بالدرجة الأولى على أسس معنوية من وُدٍ، وتراحمٍ يقول النبي ﷺ : **((تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))** (٣).

هذه الأسس والمرتكزات تقوم عليها علاقات روحية تربط بين أجزاء الجسد الواحد في تراحم، وتلاحم . وبالتالي فإن البناءَ الاجتماعيَّ يصبح في مَنَعَةٍ من التداعي والسقوط، لأن الرابطةَ المعنويةَ هي أوثق ما يؤلِّف بين البشر، وهي إنسانية لا تعرف الضيق في أُطُرٍ مُصطنَعَةٍ ليست أصيلةً في الحياةِ الإنسانيةِ (٤). .

إن رسالةَ الإسلامِ الحضاريةِ أسست كياناً، وحدوياً إنسانياً متكاملاً للحفاظ على مصالح المسلمين المشتركة، مهما تباعدت الأزمان، والديار، ومهما اختلفت الأجناس، والألوان واللغات ؛ لذلك فإنه عند المقارنة بين الأخوةِ الإيمانيةِ، والأخوة في النَّسَبِ التي تعارف عليها الناس، إذا كان الاشتراكُ في النسبِ كافياً لإيجاد رابطةِ الأخوةِ بين الأفرادِ وإن اختلفوا في العقائد، والعواطف، والمصالح، فإن الاشتراكَ في العقيدةِ الراسخةِ، والعاطفةِ المثلى، ونظامِ العيشِ الواحدِ، والمصالحِ المشتركةِ أحقُ، وأجدرُ بهذه الأخوةِ، لأن النَّسَبَ تلاق في حدود الجسدِ فقط، أما هذه الأمورُ، فإنها اتحادٌ في أكرمِ مقوماتِ الإنسانِ (٥) .

وهكذا تتكامَلُ منظومة البناء الحضاري (العقيدة، الهوية، العلم، الأخلاق، الفعالية) في التصوُّر الإسلامي للإنسان في نظرية التربية الإسلامية ؛ مما يستلزم تفعيل هذا التصوُّر في الواقع التعليمي، وفي جميع أركان العملية التربوية ؛ مما سيُسهِم إسهامًا فعَّالًا بإذن الله في قيام المشروع الحضاري للأُمَّة .

---

(١) سنن أبي داود : ٤ / ٣٣١، أبواب النوم، باب (في التفاخر بالأحساب)، رقم الحديث : ((٥١١٦)) . سنن الترمذي: ٥ / ٣٨٩، أبواب تفسير القرآن، باب (ومن سورة الحجرات)، رقم الحديث : ((٣٢٧٠))، و ٥ / ٧٣٤ ٧٣٥، أبواب المناقب، رقم الحديث : ((٣٩٥٥ ٣٩٥٦)) . مسند الإمام أحمد : ١٤ / ٣٤٩، رقم الحديث : ((٨٧٣٦))، و ١٦ / ٤٥٥، رقم الحديث : ((١٠٧٨١)) .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٨ / ٤٧٤، رقم الحديث : ((٢٣٤٨٩)) .

(٣) صحيح البخاري : ٨ / ١٠، كتاب الأدب، باب (رحمة الناس والبهائم)، رقم الحديث : ((٦٠١١)) .

(٤) يُنظر : الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات د. عمر عبيد حسنة . بحث على موقع شبكة الإنترنت .

(٥) يُنظر : الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات د. عمر عبيد حسنة . بحث على موقع شبكة الإنترنت .

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نُنوِّه بأهمية وَضْع مقرَّر عن الحضارة الإسلامية، يدرس بشكل تدريجي في التعليم بما يتناسب والمرحلة التعليمية منذ الصغر، يتمُّ من خلاله عرض أُسُس الحضارة الإسلامية، وعوامل نهوضها، وإسهامات رجالها في شتَّى العلوم والمعارف ؛ مما يغرس في المتعلمين الاعتزازَ بهذه الحضارة الإسلامية، ويبعث فيهم الهمَّةَ للسير في ركابها، ومواصلة إنجازاتها، ومن عادة الأُمَم، والشعوب العودة إلى الماضي لاستلهام الدروس، والعِبَر لمواصلة الحاضر بثبات، وعزيمة على تحقيق النجاح بإذن الله تعالى .

الخَاتِمَةُ

وَفِي نِهَايَةِ هَذَا البَحْثِ أرَى مِنَ الضَّرُورِي أنْ أُلَخِّصَ أهَمَّ مَا جَاءَ فِيهِ مِنْ مَوضُوعَاتٍ، وَأُشِيرُ إلَى أهَمِّ النَّتَائجِ الَّتِي تَوَصَّلْتُ إلَيهَا، وَذَلِكَ عَلَى الوَجْهِ الآتِي :

٣. الحضارة في اللغة : الإقامة في الحَضَر، والحَضَر والحَضْرة والحاضرة والحضارة بفتح الحاء وكسرها سكون الحضر، وهي خلاف البادية، وهي المدن، والقرى، والريف، سميت بذلك ؛ لأن أهلها حضروا الأمصار، ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار، وحين تُذكر الحضارة في اللغة فإنّه يقصد بها ما هو عكس البداوة، أي سكنى المدن والقرى .

٤. الحضارة في الاصطلاح : فقد تعدّدت تعريفات مصطلح الحضارة تبعاً لاختلاف المدارس الفكريّة، ووجهات النظر المختلفة، إلّا أن المفهوم العام لمصطلحِ الحضارة يُعرّفها بأنّها : عبارة عن مجموعةٍ من العقائد، والمبادئ المنظِّمة للمجتمع، وتُمثّل ناتج النشاط البشري في مختلف المجالات كالعلوم، والآداب، والفنون، وما ينجم عن هذا النشاط من ميول قادرة على صياغة أساليب الحياة المختلفة، والأنماط السلوكيّة، والمناهج المختلفة في التفكير، وقد تطوّر مصطلح الحضارة مع تعاقب العصور، وتعدّدت تعريفاته، والرؤى الخاصة به، فرأى ابن خلدون أن الحضارة هي التفنّن في الترف بما يشمل الملابس، والمباني، والمطابخ، وكلّ ما يخص المنزل، والأمور التابعة له، كما يُعرَّفها ابن خلدون بأنّها أحوال عادية من أحوال العمران تزيد عن الضروري بدرجات مختلفة، ومتفاوتة تبعاً لتفاوت الرفاهية، وتفاوت الأمم بقلّتها .

المعرفة لغة : العرفان : العلم، ورجل عروف وعروفة، عارف يعرف الأمور، ولا ينكر أحدا رآه مرة، والهاء في عروفة للمبالغة . والعريف والعارف بمعنى مثل عليم وعالم .

المعرفة اصطلاحًا : ((إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم، ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف)) .

٥. من اهم أسس ومقومات البناء الحضاري :

٦. حضارة التوحيد والإيمان بالله تعالى، والارتباط به جملة وتفصيلا، وهذا جوهر الرسالة الإسلامية، فكان الله تعالى رحيما بالناس أن دلّهم في كل مواطن آياته المسطورة، والبحث الطبيعي المفطور داخل آياته المنظورة .

٧. الإنسان، فكلما كان لهذا الإنسان حقه في الحياة كلما كانت أولى خطوات البناء سليمة،

بدايةً بتحديد قيمتِهِ مع نفسه، ونهايةً ببيانِ مكانتِهِ مع غيره، سواء مع بني جنسِهِ، أو بيئتِهِ، وهذا ما أكرمه الله عز وجل .

٨. العمل، وهذا المقوم مرهون بمفهوم السعي، وما تفرضه سنن الله تعالى من قواعد وضوابط، وهذه السنن لا تحابي أحدا، سواء كان مسلما أو غير مسلم، وإنما ثمرة العمل هي ما تفضي إلى النتائج المرجوة، وهذا الركن هو المشترك بين الحضارة الإسلامية وغيرِها من الممارسات الإنسانية الأخرى .

٩ العلم إن بلوغَ الأهداف والمرام رهنٌ يرسم طريق الحياة وفق منهاج سليم، وغايات نبيلة، ولا يتم ذلك إلا بحدود معينة من العلم، والمعرفة ومصطلحان (العلم)، و(المعرفة) شاملان وواسعان لا يحدهما زمان، ولا مكان، ولا عبارات، إن الإسلام دين العلم، والحياة، ومنبع الحضارات، فقد راعى مطالب الفكر، والنفس، والجسد في حدود طريق الخير، والنفع العام لكل الإنسانية، وبالعلم تقوم الحضارات، ويشيد البناء، وتتطوُّر المعارف، مما ينعكس على رخاء حياة الإنسان، ومن خلال النظرة للإنسان في نظرية التربية الإسلامية يتَّضِح أنه نظر إلى مكونات الطبيعة الإنسانية، أنها تتكوَّن من رُوح، وعقل، ونفسٍ، وجسم، والله سبحانه وتعالى كرَّم الإنسان، وفضَّلَه على سائر المخلوقات بالعقل الذي هو مناط التكليف، وأمر الله تعالى الإنسان بإعمال العقل، والتفكُّر في المخلوقات .

١٠ حضارة الانفتاح الحضارة الإسلامية حضارة الانفتاح، وهذا الوصف قريب بل مماثل للاستعمالات الحديثة التي ترمز إلى مفهوم التعايش بين الحضارات، والثقافات بل، والديانات، فالحضارة الإسلامية عاشت منذ ولادتِها استمراريةَ تفاعلٍ مع الحضارات الأخرى، ففتحت حدودها الفكرية، والنفسية، والاقتصادية، والاجتماعية على مختلف أنواع البشر، بكافة معتقداتِهم، وعلى اختلاف مقاصد، وأهداف حضاراتهم .

وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً .

المصادر والمراجع

١. الأساس العقائدي لنهضة المسلمين العلمية والحضارية، يحيى باقاسي، (١٤٠٩)، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى.

٢. تأمُّلات لمالك بن نبي، مقال منشور على موقع شبكة الإنترنت .

٣. التربية الاسلامية عبد الله العقيل، مكتبة الرشد، ط٣، الرياض، سنة (١٤٣٢) .

٤. التعريفات المؤلف : علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٥. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٦. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)، اشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، الناشر: مؤسسة المعارف، بيروت

٧. الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات د. عمر عبيد حسنة . بحث على موقع شبكة الإنترنت .

٨. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها:

- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دار الكتاب العربي - بيروت.

- دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق).

٩. الدر الفريد وبيت القصيد المؤلف: محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩ هـ - ٧١٠ هـ)، المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

١٠. الدور الحضاري للدين: دراسة تحليلية لمفهوم ودور الفكرة الدينية المركبة بدران بن الحسن، مجلة جيل الدراسات الأدبية، والفكرية، سنة (٢٠١٥) .

١١. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة الناشر: دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

١٢. الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ»)، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

١٣. زهر الأكم في الأمثال والحكم المؤلف: الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي (المتوفى: ١١٠٢هـ)، المحقق: د محمد حجي، د محمد الأخضر ،الشركة الجديدة - دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة : الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

١٤. سنن الترمذي المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م .

١٥. شرح السنة للبغوي . المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة : الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت : ٣٩٣هـ)، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م .

١٧. صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال المؤلف: القاضي/حسين بن محمد المهدي - عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية، الناشر: سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (٤٤٩) لسنة٢٠٠٩م، راجعه: الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي، مكتبة المحامي: أحمد بن محمد المهدي . الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٦

١٨. العلم اساس البناء الحضاري، مقال على موقع شبكة الإنترنت، نشر بتاريخ:

٣١ أكتوبر ٢٠١٦ .

١٩. الفعالية في فكر مالك بن نبي وعلاقتها بالثقافة والحضارة عواطف الصقري المجلة التربوية، الكويت، سنة (٢٠١٤) .

٢٠. فلسفة الحضارة ألبرت اشفيتسر، ترجمة د. زكي نجيب محمود، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، سنة (١٩٦٣) .

٢١. قصة الحضارة ول وايريل ديورانت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع .

٢٢. لسان العرب المؤلف : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ .

٢٣. مجاني الأدب في حدائق العرب المؤلف: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (المتوفى: ١٣٤٦هـ)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، عام النشر: ١٩١٣ م

٢٤. مجموع الفتاوى المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

٢٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

٢٦. مسند البزار : المسمى (البحر الزخار) المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت

٢٧. مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م .

٢٨. مسند الشهاب المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر:

مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة : الثانية، سنة ١٤٠٧ – ١٩٨٦ م .

٢٩. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٣٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت .

٣١. معالم منهج التجديد في الفلسفة الإسلامية مقداد يالجن، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، سنة (١٩٩١) .

٣٢. المعجم الكبير المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة : الثانية .

٣٣. مقومات البناء الحضاري عبد الله أبو عوض، بحث منشور على موقع شبكة الإنترنت .

٣٤. مقومات إنسان الحضارة في نظرية التربية الإسلامية إيمان عبدالعزيز الأحمدي، ماجستير في أصول التربية، طالبة دكتوراه في أصول التربية في جامعة أم القرى، بمكة المكرمة .

٣٥. النظرية التربوية وتطبيقاتها عبر العصور. بدرية الميمان ؛ منى السالوس، (١٤٣٥)، الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة، الرياض .

٣٦. الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية خليل نوري، سنة (١٤٣٠)، ديوان الوقف السني، الطبعة الأولى، العراق .